

باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال المؤلف رحمة الله تعالى: بدء العقيدة؛ باب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شيء له، ولا ولد له، ولا نظير له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأولئك ابتداء، ولا لآخرته انقضاء، ولا يليغ كثيئه صفتة الواسطون، ولا يحيط بأمره المتفکرون، يعتبر المتفکرون بآياته، ولا يتفکرون في حقيقة ذاته، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَتُؤْدُهُ حُفْطُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} العالم الخير، المدبر القدير، السميع البصير، العلي الكبير. وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه. خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، {وَمَا تَسْفَطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يُعْلَمُهَا وَلَا حَيَّةٌ فِي طُلُقَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَسِّ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ} . على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنة والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله. وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفذ. والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره فرض وركن في الدين، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقدار الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كُوْنَهُ فَجَرَى عَلَى قَدْرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادَهُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمَهُ بِهِ {أَلَا يَعْلَمُ مِنْ حَلْقٍ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ} يصل من يشاء فيخذله بعدله، وبهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر تيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا مبدأ العقيدة يقول: "باب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات". أراد بالديانات هنا فروع العقيدة، وجمعها وإن كان أصلها واحداً يعني عقيدة أهل السنة والجماعة - اختلاف فروعها وأبوابها، فسمها ديانات مع أنها دين واحد، ولكن عقيدة أهل السنة والجماعة تحتوي على أبواب، وتحتوي على أقسام، منها ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، ومنها ما يتعلق بالقضاء والقدر، ومنها ما يتعلق بالبعث والنشور، ومنها ما يتعلق بالكتب والرسل، وكلها لها أبواب، ولأبوابها فروع. وبدأها بما يتعلق بأسماء الله وصفاته؛ وذلك لأن من آمن بالله تعالى إليها وربها وخالقاً ومدبراً فلا بد أنه يؤمن بخبره، وقد أخبر سبحانه عن نفسه، وأخبر بحقه على عباده، وأخبر بجزائه في الدار الآخرة، فلا بد أن نصدق خبره. وإذا صدقنا خبره لزمنا أن نعمل، أن نعمل بأوامره، بمعنى أنا نطيعه فنؤمن بما أمرنا به، أمرنا بالصيام والصلة والزكاة والحج والجهاد، وأحل لنا الطيبات وحرم علينا ال熹بات، وحرم علينا الاعتداء والعداون والكبير والظلم والبغى بغير الحق، وأخبرنا أيضاً بالجزاء على الأعمال في الدار الآخرة، وأخبرنا بأننا ميعوثون بعد الموت، ومحاسبون ومجزيون بأعمالنا، فمن آمن بالله تعالى وأمن بخبره وأمن بأمره ونهيه ظهرت عليه آثار هذا الإيمان، ومن صعب إيمانه ضعف عمله. فيذلك بدأ بالإيمان بالله، فأولاً العقد بالقلب، الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان أن الله تعالى إله واحد لا إله غيره، لا يكفي النطق باللسان، لا يكفي أن يقول بلسانه: "لا إله إلا الله، أو "الله لا إله إلا هو"، أو "لا إله غيرك". فإن كثيراً ينتظرون بلا إله إلا الله ولا تتغفهم؛ وذلك لأنهم يالهون غير الله، يجعلون مع الله آلهة أخرى، فيكونون بذلك قد اتخذوا مع الله إليها آخر فلا ينفعهم قول لا إله إلا الله، ولكنهم - وبالخصوص من المتأخرین - لا يسمون ذلك المعبود إليها، يعبدون غير الله من الأموات والأحياء والأشكال والأحجار والبقاء. ولكنهم مع ذلك لا يسمونه إليها، يعتقدون أن الإله هو الخالق، وأنهم إذا قالوا: "لا إله إلا الله" أي: "لا خالق إلا الله" كفاهم ذلك، وهذا ناقص، فيذلك ينخدعون آلهة مع الله، ويسمونهم شفاعة وشهادة وأولياء وسادة، ويسمون فعلمهم توسلًا وتقرباً و-tierka واستثنفاه هكذا؛ فيقعون في الشرك وهم لا يعلمون. فإذا لابد أن المسلم يقول: "لا إله إلا الله" بلسانه، ويؤمن بمعناها بقليله، الإيمان بالقلب هو اعتقاد أن الله تعالى هو الإله الحق، وأن كل من آلة غيره فإليه ينتمي باطلة، وأن الإله هو الذي تأله القلوب محبة وتعظيمها وأحلالاً وتكيراً واحتراماً، هذا هو الإله الحق. فهناك من يعظامون الأموات، فيقول أحدهم: يا سيدى عبد القادر انصري، يا سيدى البدوى أنجني وأعطينى وارزقنى، وهب لي ولداً، وهب لي مالاً. وإذا قيل إنك قد اتخذت إلهاً ينكر ذلك، ويعتقد أن الإله هو الخالق، "لا إله" يعني "لا خالق إلا الله"؛ ونسى أن العرب المشركون يعتقدون بأنه لا خالق إلا الله، قال تعالى في آخر سورة الزخرف: {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَتَقُولُنَّ اللَّهُ} وقال في آخر العنكبوت: {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ تَرَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبِرْهُمْ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}. فلو كان الإله هو الخالق لقالوا: "لا إله إلا الله"؛ لأنهم يعتقدون أنه لا خالق إلا الله، ولكن يعرفون أن الإله هو المعبود الذي تأله القلوب؛ ولأنه ذلك قال الله عنهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَبَلُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَنَا لَتَأْكُرُ وَأَلَهِيَّتَا لِسَاعِرٍ مَحْتُونٍ} فيدل على أن لهم آلة غير الله، مع أنهم يقولون: الله خالقنا، لا خالق إلا الله. فعلى هذا "لا إله غيره" أي: لا إله تأله القلوب، وتعظمه وتجله، وتبجله وتحترمه، وتتخشع له وتحترمه، وترجوه وتخافه، وتتوكل عليه، وتتوب إليه وتحده، وتتتبه وتحسنه، هذا حقيقة الإله، "لا إله إلا الله" أي: لا أحد تالله القلوب غير الله، هذا أول واجب على العبيد: أن يعرفوا بأنه "لا إله إلا الله". هناك طائفة من الفلاسفه أو الصوفية يقولون: "لا إله إلا الله" أي: لا خالق إلا الله. ثم يقولون: إن الأولياء يطّلعون على الغيب؛ ولهذا يعتمدون عليهم وبطّلوب منهم، فمثل هؤلاء ما قالوا "لا إله إلا الله" حقاً، الإله عندهم هو الخالق، المشركون يقولون: نعم لا خالق إلا الله. وامتنعوا من قول "لا إله إلا الله" وقالوا.. {وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْسَحُوا وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكِلِمْ} وكذبوا نبى الله، وقالوا: {أَجْعَلَ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} . فعندهم آلة كثيرة، معبوداتهم من الأشجار والأحجار والأموات والصور ونحوها، يسمونها آلة ينحتونها على صور بعض الأولياء والصالحين، ولهذا قال قوم نوح {لَا تَذَرُنَّ الْهَيْكِلَمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاً وَلَا يَعْوَثُ وَيَعْوَثُ وَسَبِّرًا} فسموا هذه آلة، وهي أسماء رجال صالحين في قوم نوح لما ماتوا عاكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعدوهم. هذا سبب تقديم المؤلف لكلمة "لا إله غيره" أي: إله واحد، وبدل على ذلك - يدل على توجده بالإلهية - محلوقاته التي خلقها، ذكر بعض المفسرين أنه لما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: {وَالْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} فقال المشركون: ما الدليل على أنه إله واحد لا إله إلا هو؟ فنزل بعدها قوله تعالى: {إِنَّ فِي حَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْقُعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَنْجِيَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَتَبَتَّلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَائِرَةٍ وَمَضَرِيفِ الرَّبِّيَّاتِ وَالسَّخَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَيَاتٍ لَيَقُولُنَّ} فجعل هذه آيات دالة على أنه هو الإله وحده، أنه هو الإله، وأن إلهية ما سواه باطلة، فلا إله غيره. يقول بعد ذلك: "وَلَا شَبِيهٌ لَهُ، وَلَا نَظِيرٌ لَهُ، وَلَا ولدٌ لَهُ وَلَا والدٌ، وَلَا صاحبةٌ لَهُ، وَلَا شريكٌ لَهُ".